الدرس الأول

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، اللَّهمَّ صلِّ وسلم وبارك، على عبدك ورسولك محمدٍ، وعلى آله وصحابته أجمعين، وعلى من تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

{باب قول الله تبارك وتعالى، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: 175]}

- قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: 175].
- هذه الآية نزلت بعد وقعة أحد، لما غزا المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة، وحصل على المسلمين ما حصل، من القرح الذي أصابهم، استشهد منهم عددٌ كثيرٌ، وحتى النبي صلى الله عليه وسلم أصابه ما أصابه في هذه الوقعة، حيث هُشِّم المغفر على وجهه صلى الله عليه وسلم، وأصابه ما أصابه، لما أدبر المشركون، وعاد المسلمون إلى المدينة ومعهم الجرحى، والمصابون، تلاوم المشركون في ذهابهم، قالوا لو رجعنا فقضينا عليهم نهائيًّا، فأرسلوا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم أو بلغ الرسول صلى الله عليه وسلم هذا الذي همَّ به المشركون، فأمر أصحابه الذين حضروا الغزوة أن يخرجوا، وفيهم الجراح، فخرجوا رضي الله عنهم، بعد ما أصابهم القرح، خرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونزلوا في مكانٍ يقال له حمراء الأسد، فبلغ المشركون خروجهم، وأنهم في انتظار المشركين، فأصابهم الرعب، قالوا ما خرجوا إلا وفيهم قوةٌ، فأصابهم الرعب فانهزموا، وعاد المسلمون سالمين ولله الحمد.

  لم يصبهم أي أذًى، وحصلوا على الأجر العظيم من الله سبحانه وتعالى،
- وقال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ﴾ يعني ما تهدد به المشركون المسلمين إنما هو كيدٌ من الشيطان،
- ﴿يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾ قيل معناه إن الشيطان يخوف الذين في قلوبهم مرضٌ والذين فيهم نفاقٌ، يخوفهم بالمشركين، وأما أهل الإيمان الصادق فإن هذا إنما أفادهم القوة والشجاعة. ولهذا قال: ﴿يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾ ما قال يخوفكم، قال: ﴿يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾

✓ يعني الذين فيهم نفاقٌ وفيهم ضعف إيمانٍ، هذا قولٌ،

✓ والقول الثاني في الآية: ﴿يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾ أي يخوفكم أيها المسلمون بأوليائه، أولياء الشيطان ، ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾ يخوفكم بأوليائه.

- ﴿فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾، خرجوا إلى هذا المكان ينتظرون المشركين، فلما بلغ المشركين خروجهم خافوا، فولوا الأدبار ولله الحمد، ولوا الأدبار، وحصل المسلمون على الأجر العظيم في خروجهم، ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ﴾ [آل عمران: 173]، يعني الله كافينا، ومن كان الله كافيه فلا يضره أحدٌ. ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ * فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران: 173، 174]، ثم بيّن أن هذا من كيد الشيطان، ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: 175].
- فدل هذا على أن الخوف من العبادة، الخوف الذي معه خضوعٌ ومعه ذلٌّ للمخُوف، هذا نوعٌ من العبادة، أما الخوف الذي ليس معه خضوعٌ للعدو فهذا طبيعيٌّ لا يضر.

{وقال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللَّهَ فَعَسَى أُوْلَئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾[التوبة: 18].}

- هذه الآية في أول سورة التوبة، لما أن المشركين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه عن عمرة الحديبية، فالله جلَّ وعلَا قال: ﴿وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ يعني المشركين،
- ﴿يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ﴾ [الأنفال: 34] لا يليق بالمشركين أن يتولوا المساجد، إنما يتولاها المؤمنون،
- ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ﴾ يعمرها يعني بالطاعة والعبادة والصلاة،
- ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللَّهَ﴾ فالمشركون ليس لهم أن يعمروا المساجد، ولا يُمكنون من ذلك، لو أرادوا أن يعمروها لا يمكنون من ذلك، وإنما يعمرها أهل الإيمان، يعمرونها بالبناء، ويعمرونها أيضًا بالطاعة والعبادة.

{وقال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ﴾ [العنكبوت: 10] }.

- ﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾ نوعٌ من الناس من المنافقين،
- ﴿يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ﴾ يعني أصابه ما يصيب المسلمين من أذى الكفار، فإنه ينهزم ويضعف، فهذا من النفاق،
- ﴿فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ﴾ يعني بسبب إيمانه،
- ﴿جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ﴾ ففر من أذى الناس إلى عذاب الله، كالمستجير من الرمضاء بالنار والعياذ بالله.

{والأحاديث الواردة في هذا الباب، حديث عائشة -رضي الله عنها- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «من التمس رضى الله بسخط الناس، رضي الله عنه، وأرضى عنه الناس، ومن التمس رضى الناس بسخط الله، سخط الله عليه، وأسخط عليه الناس»}.

- هذا الحديث فيه قاعدةٌ عظيمةٌ، وذلك أنه لما طلب معاوية -رضي الله عنه- لما تولى على أمر المسلمين كتب إلى عائشة يطلب منها النصيحة، فكتبت له بهذا الحديث، أنها سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «من التمس رضى الله بسخط الناس، رضي الله عنه، وأرضى عنه الناس، ومن التمس رضى الناس بسخط الله، سخط الله عليه، وأسخط عليه الناس».
- توصي معاوية -رضي الله عنه- بمضمون هذا الحديث، أن لا يلتمس رضا الناس بسخط الله، وإنما يقدِّم رضا الله على سخط الناس، هذا هو تحقيق التوحيد والعبادة، فالمسلم لا يخاف إلا الله، ولا يخشى إلا الله، ولو هدده من هدده من المشركين، ومن أتباع الشيطان ، كذلك المسلمون اليوم في هذا الزمان أمام تهديدات الكفار ووعيدهم وإيعادهم، فالمسلمون لا يهمهم ذلك، إذا تمسكوا بدينهم، فإن الله معهم وناصرهم، ولا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم، كما أخبر النبي -صلى الله عليه وسلم- فعلى المسلمين الآن ألا يخافوا من تهديدات الكفار ماداموا على الحق، ومادامُوا على الصراط المستقيم فإن الله -عزَّ وجلَّ- معهم، ومن كان الله معه، فلن يضره أحدٌ، لكن هذا يحتاج إلى إيمانٍ، ويحتاج إلى يقينٍ، وأن المسلم لا يتزحزح عن إيمانه وعن عقيدته بسبب تهديد الكفار، ووعيد الكفار.

{أيضًا من الأحاديث الواردة في هذا الباب، حديث أبي سعيد -رضي الله عنه- مرفوعًا: "إن من ضعف اليقين أن تُرضي الناس بسخط الله، وأن تحمدهم على رزق الله، وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله، إن رزق الله لا يجره حرص حريصٍ، ولا يرده كراهية كارهٍ"}.

- "إن من ضعف اليقين أن تُرضي الناس بسخط الله" فالمسلم لا يُرضي الناس بسخط الله، هذا من ضعف اليقين بالله -عزَّوجلَّ-، ومن ضعف الإيمان، أن يُرضي الناس بما يُسخط الله -سبحانه وتعالى-، فلا يتنازل عن شيءٍ من الدين لأجل إرضاء الناس، أو يقدم إرضاء الناس على إرضاء الله -سبحانه وتعالى-، فإن فعل هذا فإن يقينه بالله ضعيفٌ، أو لا يوجد، فعلى المسلم أن يكون مع الله سبحانه، ومن كان مع الله، كان الله معه، ومن كان الله معه فلا يضره أحدٌ.
- "وأن تحمدهم على رزق الله" الرزق من الله -سبحانه وتعالى-، هو الرزاق ذو القوة المتين، فهو الذي يُحمد -سبحانه- على الرزق، وإن جرى الرزق على يد مخلوقٍ، فإنك تحمد هذا المخلوق على قدر ما تفضل به، لكن الحمد المطلق إنما هو لله -سبحانه وتعالى-، ولكن تحمد المحسن إذا أحسن إليك، بحد قدر ما أسدى إليك، وهذا حمدٌ جزئيٌّ، أما الحمد المطلق والكلي فهو لله -سبحانه وتعالى.
- "وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله" ومن ضعف اليقين أن تذم الناس على ما لم يؤتك الله، فالله -جلَّ وعلَا- هو الذي يعطي ويمنع، ولا يمنع ولا يعطي إلا الله -سبحانه وتعالى- ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [فاطر: 2]، فعلى المسلم أن يعلق قلبه بالله، وهذا من تحقيق التوحيد، وقوة اليقين بالله -سبحانه وتعالى-، وألا يعلق قلبه بالناس، إن أعطوه

رضي، وإن لم يعط لم يرض، لا يعلق قلبه بالناس، وإذا أسدى إليه أحدٌ معروفًا، فإنه يحمده على قدر ما أسدى إليه فقط.

- "إن رزق الله لا يجره حرص حريصٍ، ولا يرده كراهية كارهٍ". إذا قدر الله شيئًا، فلن يرده أحدٌ، ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [فاطر: 2]، فيعلق المسلم قلبه بالله -عزَّ وجلَّ-، وما يأتيه من الرزق فإنما هو من الله أصلًا وبداءةً، وإن جرى على يد مخلوقٍ، فإنه يشكر المخلوق على قدره كما سبق، وإذا لم يحصل له المطلوب فلا يذم الناس، وإنما يتيقن أن الله لم يقدره له، ومادام الله لم يقدره له، فلماذا يذم المخلوق؟! هذا بقضاء الله وقدره، وهذا ربما يكون من مصلحته هذا.

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.



الدرس الثانى

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، اللَّهمَّ صلِّ وسلم وبارك، على عبدك ورسولك محمدٍ، وعلى آله وصحابته أجمعين، وعلى من تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.



باب قول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

{قال المؤلف رحمه الله تعالى: باب قول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: 23]}

- من أبواب العقيدة أو من أنواع العبادة، التوكل، وهو تفويض الأمور إلى الله سبحانه وتعالى، فالتوكيل هو التفويض، والتوكل على الله هو الاعتماد على الله سبحانه وتعالى فيما يريده العبد.
- ﴿ وَعَلَى اللَّهِ ﴾ لا على غيره،
- ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا ﴾ يعني تقديم المعمول يفيد الحصر، يعني لا تتوكلوا على غير الله سبحانه وتعالى، لأن هذا التوكل من أنواع العبادة، والعبادات بأنواعها كلها لله سبحانه وتعالى.
- أما التوكيل وهو أن تفوض إلى عبدٍ تصرفًا معينًا، فهذا من المعاملات، لا من العبادات، وهو جائز.

{ قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ [الأنفال: 2]}.

- قال الله جلَّ وعلَا: ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾
- ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ﴾ هذا حصرٌ
- ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ أي خافتْ منه، خافتْ من الله سبحانه وتعالى،
- ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً ﴾ [الأنفال: 2]، إذا تُلي القرآن على المسلم فإنه يزيده إيمانًا بالله عزَّ وجلَّ، لأنه كلام الله سبحانه وتعالى، وهو نور البصائر، وهو مبعث اليقين في قلب العبد، فالقرآن كلام الله سبحانه،
- ﴿ تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً ﴾ هذا فيه دليلٌ على أن الإيمان يزيد، وليس إيمان الناس سواءً، فمنهم من هو قوي الإيمان، ومنهم من هو متوسط الإيمان، ومنهم من هو ضعيف الإيمان ، حتى قد يكون الإيمان قدر حبة خردلٍ، وزن حبة خردلٍ في قلب الإنسان، يضعف جدًا.
- وهذا كما في قوله صلى الله عليه وسلم: «من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع، فبلسانه، فإن لم يستطع، فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان».

- وقال صلى الله عليه وسلم: «الإيمان بضعٌ وسبعون شعبةً، أعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق» ، أدناها، أدنى شعب الإيمان إماطة الأذى عن الطريق ، «والحياء شعبةٌ من الإيمان» ، فدل على أن الإيمان ذو شعبٍ، وذو خصالٍ، فمن استكمل هذه الخصال تكامل إيمانه، ومن فقد شيئًا منها ضعف إيمانه بحسب ذلك، فالإيمان يزيد وينقص، وهذا مذهب أهل السنة والجماعة، خلافًا للمرجئة، الذين يقولون: الإيمان شيءٌ واحدٌ، لا يزيد ولا ينقص.

{قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: 64]}.

- ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ﴾ هذا خطابٌ للرسول صلى الله عليه وسلم، والله جلَّ وعلَا إذا ناداه، لا يقول له يا محمد، كما يقول للأنبياء: يا موسى، يا نوح، وإنما خص محمدًا صلى الله عليه وسلم بأنه لا يناديه باسمه، وإنما يقول يا أيها النبي، يا أيها الرسول، ولا يقول يا محمد، إنما يأتي اسم محمدٍ في باب الإخبار عنه صلى الله عليه وسلم،
- ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ ﴾ [الأحزاب: 40]، هذا من باب الإخبار لا من باب النداء، فهذا تشريفٌ للرسول صلى الله عليه وسلم.

{قال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ [الطلاق: 3]}

- ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾ لا على غيره،
- ﴿ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ يعني كافيه،
- وفي الآية التي قبلها: ﴿ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: 64] ، أي ومن اتبعك من المؤمنين فالله حسبهم سبحانه وتعالى، فهو حسب الجميع.

{وعن ابن عباس قال: «حسبنا الله ونعم الوكيل، قالها إبراهيم عليه السلام حين أُلقي في النار، وقالها محمدٌ صلى الله عليه وسلم حين قالوا له: إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانًا» ، رواه البخاري والنسائي.}

- هذه الكلمة العظيمة حسبنا الله ونعم الوكيل، قالها الخليلان، إبراهيم عليه السلام لما أُلقي في النار، وذلك أنه لما عاب آلهتهم، وحذرهم من الشرك بالله عزَّ وجلَّ، قالوا: ﴿حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: 68] ، فأوقدوا نارًا عظيمةً لا يقدر أحدٌ أن يقرب منها، فأخذوا إبراهيم -عليه السلام- ووضعوه في المنجنيق، آلة القذف، آلةٌ كبيرةٌ قاذفةٌ، فلما وضعوه وقذفوه إلى النار، قال: ﴿ حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ [آل عمران: 173] أي: هو كافيني -سبحانه وتعالى-، قال الله -جلَّ وعلَا: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنبياء: 69]، وقال هذه الكلمة الخليل الثاني، محمدٌ -صلى الله عليه وسلم-، حينما قال له المشركون يتهددونه بعد أحدٍ ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ﴾ يعني يرجعون إليكم، فأمر أصحابه، وخرجوا وفيهم الجراح، فلما خرجوا انذعر المشركون، وقالوا: ما خرجوا إلا وفيهم قوةٌ، فهربوا مدبرين إلى مكة، وانهزموا بعزم الرسول -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه، وقوة إيمانهم، قالوا: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: 173]، ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ﴾، يريدون أن يغزوكم، يقاتلوكم ﴿فَاخْشَوْهُمْ﴾ [آل عمران: 173]، ماذا أجابوا؟ قالوا: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ ، نحن عندنا ومعنا ربنا -سبحانه وتعالى-، فخرجوا وفيهم الجراح، فالله حماهم ووقاهم.

﴿فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران: 174].

مسائل في باب التوكل.

- {المسألة الأولى: أن التوكل من الفرائض}.

﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا﴾ [المائدة: 23]، هذا أمرٌ من الله -جلَّ وعلَا-، والأمر من الله يفيد الوجوب.

- {المسألة الثانية: أن أيضًا التوكل من شروط الإيمان}.

﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: 23] هذا شرطٌ، يعني إن كنتم صادقين في إيمانكم فتوكلوا على الله، دل على أن الذي لا يتوكل على الله ليس بمؤمنٍ.

- { المسألة الثالثة: في أن التوكل، وعِظم شأن هذه الكلمة، وأنها قول إبراهيم -عليه السلام-، ومحمدٍ -صلى الله عليه وسلم-، وخُصت في الشدائد}.

هذه الكلمة "حسبنا الله ونعم الوكيل" خُصت بالخليلين، إبراهيم ومحمدٍ -عليهما الصلاة والسلام-، قالاها في وقت الشدائد، فهي كلمةٌ تقال في الشدائد، ويفرج الله عن من قالها إذا قالها باعتقادٍ وإيمانٍ وصدقٍ.

الأخذ بالأسباب هل ينافي التوكل؟.

- لا، نحن مأمورون بالتوكل، ومأمورون باتخاذ الأسباب، والنبي -صلى الله عليه وسلم- كان أعظم الناس توكلًا على الله، ومع هذا كان يتخذ الأسباب، كان يلبس المغفر على رأسه؛ ليتوقى به من السلاح، وكان يلبس الدرع -درع الحديد- على جسمه، توقيًّا للسلاح، واتخاذ الأسباب لا ينافي التوكل، ونحن مأمورون بهذا، لو كانا يتنافيان ما أمرنا الله بهما، فقال -سبحانه وتعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: 23].
- قال الله -تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا﴾ ، فأمرنا بالتوكل، ومع هذا أمرنا باتخاذ الأسباب، فقال -جلَّ وعلَا: ﴿وَخُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ [النساء: 102]، يعني من الكفار، فتأهبوا لصدهم، وكف عدوانهم، فهذا من اتخاذ الأسباب، أمرَ الله به، مع أنه أمرَ بالتوكل، فدل على أنه لا تنافي بين التوكل على الله، وبين اتخاذ الأسباب المباحة.

لماذا ضعف الإيمان عند بعض الناس في وقتنا الحاضر؟.

- الناس يكون فيهم ضعيف الإيمان بلا شكٍ، وذلك لأنه لم يتمكن الإيمان من قلبه، وأيضًا عنده خوفٌ، فيضعف توكله على الله، هذه سبب الخوف الذي يصيبه، والهلع الذي يصيبه، ولا ينهزم المؤمن أمام الشدائد، ويضعف أمامها، إلا لضعف إيمانه.

في خاتمة هذا الباب العظيم -باب التوكل- هل هناك إضافة في ذلك؟.

- هذا الباب بابٌ عظيمٌ، وهو باب التوكل على الله -سبحانه-، لاسيما عند الشدائد، وكما سبق، التوكل على الله مع اتخاذ الأسباب الواقية، فنجمع بين الأمرين، نتوكل على الله، ونعتمد على الله، وأيضًا نتخذ الأسباب الواقية والنافعة، ولا تنافٍ بينهما، وهذا من الإيمان، فالذي يقول إنه متوكلٌ على الله، ويهمل الأسباب، هذا

مخطئٌ جدًّا، وعنده ضعف إيمانٍ، وضعف يقينٍ، والذي يعتمد على الأسباب، ولا يتوكل على الله، هذا أيضًا على النقيض، هو أيضًا ناقص الإيمان، ومختل العقيدة.

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.



الدرس الثالث

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، اللَّهمَّ صلِّ وسلم وبارك، على عبدك ورسولك محمدٍ، وعلى آله وصحابته أجمعين، وعلى من تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

{باب قول الله تبارك وتعالى، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الخَاسِرُونَ﴾[الأعراف: 99]}

- هذا الباب يقصد به الشيخ رحمه الله بيان أن الأمن من مكر الله، أي من إمهاله واستدراجه لعباده وهم على المعاصي، وهو ينعم عليهم، أن ذلك ليس إكرامًا لهم، وإنما إذ هو استدراجٌ ليزدادوا إثمًا، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَذَا الحَدِيثِ﴾ يعني القرآن ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ [القلم: 44]، والله جلَّ وعلَا أخبر أن الناس إذا لم يتنبهوا بالمواعظ، فإن الله يمهلهم ويستدرجهم بالنعم حتى تكثر ذنوبهم ومعاصيهم، ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ * نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الخَيْرَاتِ بَل لاَّ يَشْعُرُونَ﴾ [المؤمنون: 55، 56]، لا يدرون، هذا مكرٌ.
- كما قال سبحانه وتعالى عن أهل القرى أنهم لما لم يتعظوا بما نزل من العقوبات، أن الله أملى لهم، واستدرجهم بالنعم، ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾[الأنعام: 44].
- فالله أولًا يُنذر عباده بالتخويف، وينزل عليهم ما ينبههم من العقوبات لعلهم يتوبون، فإذا استمرأوا المعاصي ولم يتوبوا، فإن الله يستدرجهم بالنعم، ليأخذهم على غرةٍ وهم غافلون.

{وقال تعالى: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ﴾[الحجر: 56]}

- هذا على المقابل، مقابل الأمن من مكر الله، فإنه أيضًا لا يقنط من رحمة الله، بل يكون بين الخوف والرجاء، وهذا شأن المؤمن، أنه يكون بين الخوف والرجاء، لا يأخذ بالخوف فقط، هذه طريقة الخوارج، ولا يأخذ بطريقة الرجاء فقط ويأمن من العذاب، وهذه طريقة المرجئة، وهما فئتان ضالتان.

{عن ابن عباسٍ رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الكبائر، فقال: «الشرك بالله، واليأس من روح الله، والأمن من مكر الله».}

- سئل صلى الله عليه وسلم عن الكبائر، يعني كبائر الذنوب، لأن الذنوب تنقسم إلى كبائر وصغائر، والكبيرة هي ما خُتمت بلعنةٍ أو غضبٍ أو نارٍ، يعني إذا جاء التذكير والوعظ والزجر وخُتم بلعنةٍ أو غضبٍ أو نارٍ فهذه كبائر،

وأما ما نُهِي عنه ولم يُختم بخاتمة الكبيرة، فإنه من الذنوب الصغائر، والواجب على المسلم أن يتجنب الذنوب الكبائر والذنوب الصغائر.

- لكن الذنوب الكبائر لا تكفر إلا بالتوبة، وأما الصغائر فإنها قد يغفرها الله للمؤمن، قال جلَّ وعلَا: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [النساء: 31]، يعني الذنوب والصغائر.

{«واليأس من روح الله»}

- فهذا الأمن من مكر الله من كبائر الذنوب، وهو أن الإنسان لا يخاف من الله، لا يكون عنده خوفٌ من الله، فهو فاقدٌ لنوعٍ من أنواع العبادة، لأن الخوف من أنواع العبادة، الخوف من الله سبحانه وتعالى، وعلى العكس الأمن من مكر الله عزَّ وجلَّ، والاستدراج، فالله جلَّ وعلَا يحذر عباده فإن تابوا وأنابوا ورجعوا عن الذنوب تاب الله عليهم، وإن استمروا في ذنوبهم ولم يلتفتوا إلى النهي والزجر فإن الله قد يأخذهم، ويعجل عقوبتهم، وقد يستدرجهم ليزدادوا إثمًا، ﴿وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْماً﴾ [آل عمران: 178].
- فالعبد لابد أن يكون بين هذين المقامين، بين الخوف والرجاء، فلا يخاف خوفًا معه قنوطٌ من رحمة الله، وهذا كفرٌ، ولا يرجو رجاءً آمنًا من مكر الله، ومن عذاب الله، وهذا طريق المرجئة الضلال.

{قال: سئل عن الكبائر، فقال: الشرك بالله، واليأس من روح الله}.

- الشرك بالله أكبر هو أكبر الكبائر، وأعظم ما نهى الله عنه -سبحانه وتعالى-، الشرك بالله، واليأس من روح الله، وهو القنوط من رحمة الله -عزَّ وجلَّ-، فالله -سبحانه وتعالى- يحب من عبده أن يكون بين الخوف والرجاء، لا يخاف خوفًا معه يأسٌ من رحمة الله، وهذه طريقة الخوارج، ولا يرجو رجاءً معه أمنٌ من مكر الله، وهذه طريقة المرجئة.
- والطريق الصحيح أن المسلم يكون بين الخوف والرجاء، لا يُغلِّب جانبًا على الآخر، ولهذا يقولون: المؤمن كالطائر بين الخوف والرجاء، مثل جناحي الطائر، لا يُغلب جانبًا على الآخر، مادام على قيد الحياة، أما في حالة نزول الموت، وكُربات الموت، فإنه يُغلب جانب الرجاء، قال -صلى الله عليه وسلم: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله»، الله -جلَّ وعلَا- يقول: «أنا عند ظن عبدي بي، فليظن بي ما شاء».

{وعن ابن مسعود قال: أكبر الكبائر الإشراك بالله، والأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله، واليأس من روح الله}.

- كل هذه متضاداتٌ، الشرك بالله، الذي يُنجي منه التوحيد، وإخلاص العبادة لله -عزَّ وجلَّ-، والثاني الأمن من مكر الله، أنه لا يخاف من الله -عزَّ وجلَّ- يفقد الخوف، فهو فاقدٌ لنوعٍ من أنواع العبادة عظيمٍ، وهذا معناه أنه والعياذ بالله أنه يستمرئ المعاصي ويستلذ بها، ولا يخاف من العواقب.
- وعلى النقيض كذلك يخاف، لكن لا يقنط من رحمة الله، بل يخاف خوفًا معه رجاءٌ لرحمة الله -سبحانه وتعالى-، فلا يرجو فقط ويترك الخوف، ولا يخاف فقط ويترك الرجاء، بل يكون بين الخوف والرجاء، هكذا طريقة المؤمنين ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ [الإسراء: 57] ما قال يرجون رحمته فقط، قال: ﴿وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ [الإسراء: 57]، فيجمع بين الخوف والرجاء، هذا طريقة المؤمن.



{واليأس من روح الله}.

- واليأس من روح الله، القنوط من رحمة الله -عزَّ وجلَّ- في نفسه فلا يتوب من المعصية، ويقول إنه لا يغفر له.

فقد جاء في الحديث أن رجلًا قتل تسعةً وتسعين نفسًا، فألقى الله في قلبه التوبة، فسأل عن من يفتيه، هل له توبةٌ أم لا، فدُل على عابدٍ، ما عنده علمٌ، لكنه متعبدٌ ومجتهدٌ، وسأله أنه قتل تسعةً وتسعين نفسًا، فهل له من توبةٍ؟، فقال: لا، ليس لك توبةٌ، فقتله، وأكمل به المائة، لأن هذا العابد ما عنده علمٌ، وأفتى بجهلٍ، كيف يسد باب التوبة على هذا العبد الذي جاء يريد التوبة؟ هذا قنوطٌ من رحمة الله -سبحانه وتعالى-، ثم سأل عن عالمٍ يسأله، فدُل على عالمٍ، فقال: إنه قتل مائة نفسٍ، فهل له من توبةٍ؟ قال: ومَن يحُل بينك وبين التوبة؟ فأفتاه بأن باب التوبة مفتوحٌ، وأن الله يقبل توبته، ولو تعاظم ذنبه، ولو قتل مائة نفسٍ، قال: ولكنك بأرض سوءٍ، فاخرج إلى أرض كذا، فإن فيها قومًا يعبدون الله، فاعبد الله معهم، فخرج يريد الأرض الطيبة، فقبضت الملائكة روحه في الطريق، قبل أن يصل إلى البلدة الطيبة، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة، وملائكة العذاب، ملائكة الرحمة يقولون: إنه تاب، فيريدون أن يقبضوه، وملائكة العذاب يقولون: إنه لم يعمل شيئًا، يريدون أن يقبضوه للعذاب، فأرسل الله إليهم ملكًا، يحكم بينهم، وقال الملك: قيسوا ما بين البلدتين، فقاسوا فوجدوه إلى البلدة الطيبة أقرب بشبرٍ، فقبضته ملائكة الرحمة،

رواه عبد الرزاق، من هو عبد الرزاق؟

عبد الرزاق الصنعاني الذي كان طلاب العلم يرحلون إليه في وقته، ومنهم الإمام أحمد، فقد رحل إلى اليمن، إلى صنعاء ليروي الحديث عن عبد الرزاق -رحمه الله- وهو من مشايخ الإمام أحمد.

- هذا يدل على أن المسلم لا يقنط من رحمة الله، وإن تعاظمت ذنوبه، بل عليه التوبة إلى الله، والله يقبل التوبة من عباده، والله حث على التوبة، وأمر بقبولها، فقال -سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: 160]، ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: 53]، ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾ [الزمر: 54] أنيبوا أي توبوا.

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

الدرس الرابع

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، اللَّهمَّ صلِّ وسلم وبارك، على عبدك ورسولك محمدٍ، وعلى آله وصحابته أجمعين، وعلى من تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.



باب من الإيمان بالله الصبر على أقدار الله.

- يقول الشيخ رحمه الله: باب من الإيمان بالله الصبر على أقدار الله، فالمؤمن يبتلى بالمصائب وبالنكبات؛ ليُمحص ويطهر من ناحيةٍ، ولأجل أن يظهر يقينه وصدقه، وأنه لا يقنط من رحمة الله مهما أصابه، فإنه يرجو الله عزَّ وجلّ، لا يخرج عن دائرة الرجاء ولو أصابه ما أصابه، فهذه طريقة المؤمنين.
- والصبر هو بابٌ عظيمٌ، بل هو رأس الدين، ولهذا يقول العلماء الصبر من الإيمان كالرأس من البدن، إذا فقد الرأس فإنه يموت البدن، فلابد من وجود الصبر.
- والله جل وعلا يقول: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ ﴾ [البقرة: 155- 157]، والصلوات من الله على عبده هي الثناء من الله على عبده، ﴿أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: 157].



{قال تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ [التغابن: 11]}

- قال سبحانه وتعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ﴾ [التغابن: 11]، فالمسلم إذا أصابته المصيبة يعلم أنها من الله فيرضى ويسلم، ويصبر وحينئذٍ يهدي الله قلبه، بمعنى أن الله جلَّ وعلَا يثبته، يدله ويثبته على الهداية، وعلى الحق.



{قال علقمة: هو الرجل تصيبه المصيبة؛ فيعلم أنها من عند الله؛ فيرضى ويسلم}

- علقمة هو علقمة الأسود، من أهل اليمن، ومن تلاميذ ابن مسعود رضي الله عنهما، قال علقمة يعني في هذه الآية معنى ﴿وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ﴾ [التغابن: 11]، قال: هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من الله، فيرضى عن الله جلَّ وعلَا ولا يجزع، ويسلم لله عزَّ وجلَّ ولا يعترض، هذه فائدة الإيمان، وقوة الإيمان، أن إيمان المؤمن الصادق لا يتزحزح عند المصائب، ولا يفرح عند النعم ويبطر، بل إنه يكون بين الخوف والرجاء دائمًا، في حالة اليسر وفي حالة العسر.

{وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة – رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «اثنتان في الناس، هما بهم كفرٌ: الطعن في النسب، والنياحة على الميت»}

- اثنتان -يعني خصلتان- في الناس هما بهم كفرٌ، -يعني كفرٌ أصغر- ليس المراد الكفر الأكبر المخرج من الملة، اثنتان في الناس هما بهم كفرٌ، وهما من خصال الجاهلية: الطعن في الأنساب، فلا يطعن في نسب أحدٍ من المسلمين، الله جلَّ وعلَا يقول: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: 13].
- فليس نيل المنازل العالية بالنسب، لأنه من بني فلان، أو من أشراف الناس، ولا يتكل على نسبه، وكذلك الطعن في النسب، يعني لا يُغلى في مدح الأنساب، ولا يُحط منها، بل إن المؤمن على خيرٍ، سواءً كان نسيبًا أو غير نسيبٍ، ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: 13].
- هذا أبو جهلٍ وأبو لهبٍ من سادات قريش، ومن أكابر قريش في العرب، وهذا بلال عبدٌ حبشيٌّ، وسلمان الفارسي فارسيٌّ من فارس، ليس عربيًّا، وهما من سادات أهل الجنة.

{ولهما عن ابن مسعود مرفوعا: «ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية».}

- نعم هذه من خصال الجاهلية، لطم الخدود عند المصيبة، من الجزع يلطمون خدودهم، ومن ذلك أيضًا مَن يضربون أنفسهم بالسلاسل حزنًا على مقتل الحسين بزعمهم.
- «ليس منا» أي على طريقتنا، ليس معنى هذا أنه كافرٌ، ولكن معناه الوعيد، أنه على غير طريقة الرسول صلى الله عليه وسلم، «ليس منا من ضرب الخدود» هذا من أمور الجاهلية، يعني عند المصيبة، «وشق الجيوب» هذا أيضًا من أفعال الجاهلية.
- «ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب» هذا فعلٌ من أفعال الجاهلية، «ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب، ودعى بدعوة الجاهلية»، هذا من أقوال الجاهلية، والمسلم يتبرأ مما ينسب إلى الجاهلية، سواءً كان في الأقوال أو في الأفعال، فالطعن في الأنساب من أمور الجاهلية، وكذلك الفخر بالأنساب من أمور الجاهلية.
- «ليس منا من ضرب الخدود» أي ليس على طريقتنا وسنتنا، من ضرب الخدود، يعني من الجزع عند المصائب، وهو من ناحيةٍ من أفعال الجاهلية، فيتجنبه المسلم لأنه من أفعال الجاهلية، ومن ناحيةٍ أخرى وهي أشد، أن الرسول تبرأ منه، قال: «ليس منا من ضرب الخدود، وشق الجيوب» ، هذا أيضًا من أفعال الجاهلية «ودعا بدعوى الجاهلية» كأن يدعو بالويل والثبور، ويقول وا عضداه يعني الميت أنه يتأسف عليه، وامصيبتاه، الخ، من أمور الجاهلية، المؤمن الذين إذا أصابتكم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون، ولا يجزع ولا يفعل فعلًا من أفعال الجاهلية ولا يقول قولاً من أفعال الجاهلية أيضًا، كل أمور الجاهلية محرمةٌ ومكروهةٌ.

{وعن أنس أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «إذا أراد الله بعبده خيرًا، عجل له بالعقوبة في الدنيا»}.

- هذا يدل على أن العقوبة لا تكون نتيجة غضبٍ من الله على المؤمن، إنما هي تمحيصٌ وتطهيرٌ له ، فهي من مصلحته.

- «إذا أراد الله بعبده خيرًا، عجل له العقوبة في الدنيا» ، فعقوبة الدنيا أسهل من عقوبة الآخرة ، والمصائب إذا جرت على المؤمن فهي خيرٌ له من الله، إن أراده الله بخيرٍ، ﴿وليُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: 141]، هي تمحيصٌ للمسلم.

{وإذا أراد بعبده الشر، أمسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة}

- وإذا أراد الله بعبده شرًا أمسك عنه العقوبة في الدنيا، وأمهل له وأنعم عليه، واستدرجه حتى يوافي بذنبه يوم القيامة ويعذب به، وعذاب الآخرة أشد من عذاب الدنيا.

{وقال النبي -صلى الله عليه وسلم: «إن عِظم الجزاء مع عِظم البلاء»}.

- إن عظم الجزاء من الله -عزَّ وجلَّ- والثواب والخير مع عظم البلاء، فمهما تعاظم البلاء فإن العبد لا يفقد الثقة بالله -عزَّ وجلَّ-، ولا يجزع مما أصابه، بل يعتبره رحمةً له، وتمحيصًا له، وتطهيرًا له من الذنوب والمعاصي.

{وأن الله -تعالى- إذا أحب قومًا ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط» حسنه الترمذي}.

- إن الله -جلَّ وعلَا- إذا أحب قومًا ابتلاهم، وليس الابتلاء دليلٌ على كراهية الله له، بل يكون عن محبةٍ من الله لهم، ليطهرهم بذلك، وليختبرهم، ولينبههم على الذنوب كي يجتنبوها، بخلاف الذين يذنبون ويمسك الله عنهم العقوبة استدراجًا لهم وإمهالًا لهم. فالمؤمن على خيرٍ، إن عظم البلاء مع عظم الجزاء، وإن الله إذا أحب قومًا ابتلاهم، فمن رضي بقضاء الله وقدره وصبر، فله الرضا من الله، وهذه فيه أن من أوصاف الله -عزَّ وجلَّ- أنه يرضى ويغضب ويسخط، فهذا من صفات الأفعال، من الله -عزَّ وجلَّ-، فإن الله إذا أحب قومًا ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا من الله، ومن سخط ولم يرضَ ولم يصبر، وجزع وتسخط أو ضرب الخدود وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية، فله السخط من الله -عزَّ وجلَّ- لأن الجزاء من جنس العمل ﴿ولَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [يس: 54].

لِمَ كان الصبر من ركائز الإيمان؟.

- الذي ليس عنده صبرٌ ليس عنده إيمانٌ، فالمؤمن الذي يعلم أن المصيبة من الله يرضى ويسلم، كما قال علقمة يرضى ويسلم، لأنها من الله، فما كان من الله فهو رضا، يعني لا يتسخط، وأيضًا هو أصابه بذنبه، فيتوب إلى الله -عزَّ وجلَّ- بدلًا من أن يسخط ويتلوم وما أشبه ذلك، فالعقوبة تكون منحةً من الله، قد تكون منحةً وقد تكون محنةً، فالذي يصبر تكون له منحةً، والذي لا يصبر ويجزع تكون محنةً له.

هل هذا الباب متعلقٌ بتوحيد الربوبية، أم توحيد الإلوهية؟

- توحيد الإلوهية، لأن هذه أفعال العبد، توحيد الربوبية هو توحيد الله بأفعاله هو -سبحانه-، وأما توحيد الإلوهية فهو توحيد الله بأفعال العباد التي شرعها لهم.

أيهما أعظم أجرًا، الصبر على المعاصي أم الصبر على الطاعات؟

- كلاهما متساويان، ليس الصبر على المعاصي، الصبر على ما يجري على العبد بسبب المعاصي، ما دام أنه من الله فإنه لا يجزع ولا يسخط، فإنه يتوب إلى الله -عزَّ وجلَّ- ويستغفر ويندم، والله يتوب عليه، لأن الله أراد أن ينبه بهذه المصيبة، وأراد أن يمحصه بها، فهي خيرٌ له.

الدرس الخامس

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، اللَّهمَّ صلِّ وسلم وبارك، على عبدك ورسولك محمدٍ، وعلى آله وصحابته أجمعين، وعلى من تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

باب ما جاء في الرياء.

{قال المؤلف رحمه الله تعالى: باب ما جاء في الرياء}

- قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: باب ما جاء في الرياء

ما جاء من الوعيد في الرياء، والرياء هو أن يتظاهر الإنسان بالعمل الصالح، والصلاح، يريد بذلك مراءاة الناس، ولا يريد وجه الله، كما قال الله جلَّ وعلَا في المنافقين : ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاَةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [النساء: 142].

والرياء على نوعين:

❖ **النوع الأول:** رياء المنافقين الذين هم في الدرك الأسفل من النار، لأنهم يدعون الإيمان، ويتظاهرون به، وينكرونه في قلوبهم، وإنما قصدهم في هذا خديعة المؤمنين والتغرير بهم، كما قال الله جلَّ وعلَا: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ﴾ [البقرة: 9]، وهذا النوع من الرياء كفرٌ بلا شكٍّ.

❖ **النوع الثاني:** الرياء الأصغر، بأن يكون قصد الإنسان العمل الصالح، والتقرب إلى الله سبحانه وتعالى، ولكن يدخله شيءٌ من مراءاة الناس، وأصل قصده أنه لله، وهذا هو الذي خافه النبي عليه الصلاة والسلام على أصحابه، حينما قال: **«أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر»** ، فسئل عنه فقال **«هو الرياء، يقوم الرجل فيصلي، ويزين صلاته، لما يرى نظر رجلٍ إليه»** ، فأصل العمل أنه لله، لا نفاق فيه ولكن يطرأ على الإنسان حب المدح وحب النظر المناسب، هذا يخدش في عمله لأنه يخدش في الإخلاص لله عزَّ وجلَّ.

ولهذا خافه النبي صلى الله عليه وسلم على أصحابه ، قال: **«أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر»** ، فسئل عنه فقال: **«الرياء»**، وهذا هو الرياء الأصغر، وهذا ينقص العمل ولا يبطل العمل، لكنه ينقصه.

{قال الله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ [الكهف: 110]}

- يقول الله جلَّ وعلَا لنبيه: ﴿قُلْ﴾ أي قل للناس ﴿إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ فهو مخلوقٌ مثل ما يُخلَق البشر، من أمٍّ وأبٍ عليه الصلاة والسلام.

- ﴿بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ لكن يتميز على البشر بأنه يوحى إليه، يوحي الله جلَّ وعلَا إليه برسالته، ﴿يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ هذا ما يوحى إليه: التوحيد.
- إخلاص العمل لله عزَّ وجلَّ، والإله هو المعبود، من التأله وهو المحبة والعبودية لله عزَّ وجلَّ، ﴿إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ﴾ يوم القيامة، لأنه لابد أن يلاقي الناس كلهم ربهم يوم القيامة مؤمنهم وكافرهم، ولكن المؤمن يرجو لقاء الله بأن الله يغفر له وأن الله يرحمه، وأن الله يكرمه، يرجو هذا اللقاء مع الكريم سبحانه وتعالى.
- ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً﴾ [الكهف: 110]، لأن الرجاء وحده لا يكفي، فلابد أن يعمل عملًا صالحًا، والعمل الصالح هو ما كان خالصًا لوجه الله، وصوابًا على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، هذا هو العمل الصالح، إذا اجتمع فيه هذان الشرطان، الإخلاص لله عزَّ وجلَّ، وإفراد الله جلَّ وعلَا بالعبادة، والاقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم، كما في قوله: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾ هذا الإخلاص، ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [البقرة: 112]، أي متبعٌ للرسول صلى الله عليه وسلم، هذا هو الإحسان المقصود في هذه الآية الكريمة وأمثالها.
- ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً﴾ [الكهف: 110]، لأن الشرك يبطل العبادة. ويراد هنا الشرك الأصغر، لأنه إذا راءى الناس بعمله بطل عمله، ولم يكن له فيه ثوابٌ.

{عن أبي هريرة مرفوعًا قال: «قال الله تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملًا أشرك معي فيه غيري تركته وشركه» رواه مسلم}

- يقول الله جلَّ وعلَا في الحديث القدسي الذي يرويه النبي صلى الله عليه وسلم عن ربه، أن الله قال: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملًا أشرك معي فيه غيري تركته وشركه» ، وفي روايةٍ: «وهو للذي أشركه وأنا منه بريءٌ».
- فالله لا يقبل العمل الذي يدخله رياءٌ أو يدخله سمعةٌ، لأنه لا يكون خالصًا لوجه الله عزَّ وجلَّ.

{وعن أبي سعيد مرفوعًا: «ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟» قالوا: بلى، قال: «الشرك الخفي، يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر رجلٍ» رواه أحمد}.

- النبي -صلى الله عليه وسلم- ذكر لأصحابه الدجال، وفتنة الدجال، ثم قام -صلى الله عليه وسلم- فدخل، فالناس تذاكروا الدجال، وخافوا أنه قد ظهر، لأن الرسول-صلى الله عليه وسلم- خوَّف منه تخويفًا شديدًا، فخافوا أنه قد ظهر الدجال، فخرج إليهم الرسول -صلى الله عليه وسلم- ورآهم على هذه الحالة من الخوف، قال: «ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «الشرك الأصغر»، لأن الشرك الأكبر يتجنبه المسلم، ولكن الشرك الأصغر الذي هو الرياء، قلَّ من يتجنبه؛ لأنه يدخل على الإنسان حب الرئاسة، وحب المدح، وحب الحياة الدنيا، والطمع، هذا يؤثر على عبادته.

مسائل في هذا الباب.

❖ **الأولى: الأمر العظيم في رد العمل الصالح إذا دخله شيءٌ لغير الله.**

الأمر العظيم، يعني الأمر المحظور الكبير، الذي يتضمنه هذا الحديث، وهو أن الله -جلَّ وعلَا- يرد العمل الصالح بسبب ما يدخله من الرياء، ومحبة المدح والثناء، فهذا خطرٌ عظيمٌ، فعلى الإنسان أن يخلص عمله لله، ولا يقصد به رياءً ولا سمعةً.

❖ **الثانية: ذكر السبب الموجب لذلك، وهو كمال الغنى.**

السبب الموجب أن الله -جلَّ وعلَا- لا يقبل عمل المرائي، أن الله غنيٌّ عنه، والله غنيٌّ عن كل شيءٍ، غنيٌّ عن خلقه، وغنيٌّ عن مخلوقاته، غنيٌّ بنفسه -سبحانه وتعالى-، فهذا هو السبب في أن الله لا يقبل العمل الذي فيه رياءٌ.

❖ **الثالثة: إن من الأسباب أنه تعالى خير الشركاء.**

أنه تعالى خير الشركاء، لا ينازعه شريكٌ، بل يترك العمل كله له، لقوله -صلى الله عليه وسلم- عن ربه: **«أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملًا أشرك معي فيه غيري، تركته وشركه»**، وفي رواية: **«هو للذي أشرك، وأنا منه بريءٌ»**، وهذا كما في قوله تعالى: **﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا﴾**، قال الله -جلَّ وعلَا: **﴿فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ﴾** [الأنعام: 136]، فلا يصل إلى الله، لأن الله لا يقبله، وهو بريءٌ منه -سبحانه وتعالى.

❖ **الرابعة: خوف النبي -صلى الله عليه وسلم- على أصحابه من الرياء.**

خوف النبي -صلى الله عليه وسلم- على أصحابه وهم الصحب الكرام، صحابة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وخير القرون، خاف عليهم الرياء، فكيف بمن بعدهم؟! كيف إذا طال الزمان؟! الخوف أشد على المتأخرين، من خوف الرسول -صلى الله عليه وسلم- على أصحابه الكرام.

❖ **الخامسة: أنه فسَّر ذلك بأن المرء يصلي لله لكن يزينها لما يرى من نظر الرجل إليه.**

المؤمن يصلي لله، ما قام ولا جاء إلى المسجد ولا قام للصلاة إلا هو يريد الله -جلَّ وعلَا-، ويطيع الله -عزَّ وجلَّ-، لكن يطرأ عليه هذا الهاجس في نفسه، وهو أنه يحب أن يُمدح، أو يُثنى عليه في هذا العمل، فحينئذ يبطل عمله، أو ينقص عمله عند الله -سبحانه وتعالى.

؟ من وقع في الرياء لكن يدافع هذا الرياء، ويجاهد نفسه، والشيطان، ماذا نقول في عمله ؟.

- عمله صالحٌ، لكن ينقصه ما دخله من الرياء، ينقصه، وأما رياء المنافقين فهذا يبطل العمل، لكن الرياء الذي يحصل على المسلم، هذا ينقص عمله، ولا يبطله، وهو الشرك الأصغر.

؟ هل هناك فرقٌ بين الشرك الخفيّ والشرك الجليّ؟.

- الشرك الخفي الذي في القلب، نية الإنسان لا يعلمها إلا الله -سبحانه وتعالى-، إذا كان ينوي بقلبه، أو يريد بقلبه مدح الناس، وثناء الناس، هذا الناس ما يرونه، لكن الله -جلَّ وعلَا- يعلمه، ويؤثر هذا على عمل الإنسان، وقد يبطل عمل الإنسان.

الدرس السادس

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، اللَّهمَّ صلِّ وسلم وبارك، على عبدك ورسولك محمدٍ، وعلى آله وصحابته أجمعين، وعلى من تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

{قال المؤلف رحمه الله تعالى:

باب قول الله تبارك وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً﴾ [النساء: 60]}

- قال الشيخ رحمه الله تعالى: باب قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ﴾ [النساء: 60].
- سبب نزول الآية أنه كان بين منافقٍ ويهوديٍّ خصومةٌ، فقال اليهودي نختصم إلى محمدٍ صلى الله عليه وسلم، لعلمه أن محمدًا صلى الله عليه وسلم لا يأخذ الرشوة، اليهودي علم أن محمدًا لا يقبل الرشوة، فلهذا طلب التحاكم عليه.
- وأما المنافق الذي يزعم أنه مؤمنٌ وأنه من المسلمين، يقول: نتحاكم إلى كعب بن الأشرف زعيم اليهود، لأنه يعلم أنه يأخذ الرشوة، فالله جلَّ وعلَا فضحه بهذه الآية، ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ﴾ يعني ما هو بحقيقة، وإنما هم يزعمون، أنهم ﴿آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ من القرآن ﴿وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ من الكتب، ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ﴾ فالتحاكم إلى الطاغوت الذي يحكم بغير ما أنزل الله، هو من هذا القبيل، إن الله ينكره أشد الإنكار.
- والطاغوت مشتقٌ من الطغيان، والمراد به كما **قال ابن القيم**: ما جاوز به العبد حده من معبودٍ أو متبوعٍ أو مطاعٍ في غير طاعة الله، فهو طاغوتٌ.
- فالذي يتحاكم إلى غير الله، يتحاكم إلى الطاغوت، يعني إلى الباطل، وإلى غير ما أنزل الله سبحانه وتعالى، ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا﴾ أمرهم الله أن يكفروا بالطاغوت، قال جلَّ وعلَا: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لاَ انفِصَامَ لَهَا﴾ [البقرة: 256]، وهذا الرجل الذي يدعي أنه مؤمنٌ لا يكفر بالطاغوت، ويريد أن يتحاكم إليه نسأل الله العافية.

- ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا﴾ يريدون في قلوبهم، فكيف إذا نفذوا، الأمر أشد، ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ﴾ يعني إلى غير الله سبحانه وتعالى، وإلى غير ما أنزل الله، وقد أمروا أن يكفروا بالطاغوت ، وفهموا ذلك، لكن ليس عندهم إيمانٌ حقيقيٌّ، وإنما هو مخادعةٌ لله ولرسوله، ليتظاهروا بمظهر المؤمن وهم غير مؤمنين، ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ﴾، فلا يجوز التحاكم إلى غير ما أنزل الله، وإلى غير من يحكم بالشريعة، من تحاكمٍ إلى القوانين الوضعية، أو تحاكمٍ إلى الرجال، وترك القرآن فهذا تحاكمٌ إلى الطاغوت.

{﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً﴾ [النساء: 60] }

- الشيطان لعنه الله يريد أن يضل هؤلاء المنافقين، ضلالًا بعيدًا عن الإسلام، مع أنهم يدعون الإسلام والإيمان بمحمدٍ صلى الله عليه وسلم، لكن ينكشف عوارهم عند أدنى حادثةٍ من الحوادث.

{وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ [البقرة: 11]}

- كما ذكر الله في أول سورة البقرة من صفات المنافقين ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ * يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾ [البقرة: 8، 9]، ثم ذكر ممارساتهم وتصرفاتهم المخالفة والباطلة مع أنهم يدعون الإيمان، ومن ذلك : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ ﴾ [البقرة: 13]، يريدون المسلمين، مع أنهم يدعون الإسلام، لكن أظهر الله ما في قلوبهم وفضحهم.
- ﴿أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ ﴾ قال الله جلَّ وعلَا: ﴿أَلاَ إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ ﴾، حصر الله السفاهة فيهم لا في المسلمين، وإنما السفاهة في المنافقين، مع أنهم يدعون الكمال والعقلية وما أشبه ذلك ، ﴿أَلاَ إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لاَّ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 13].

{قال تعالى: ﴿وَلاَ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا﴾ [الأعراف: 56]}

- ﴿وَلاَ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا ﴾، الله جلَّ وعلَا أصلح الأرض بإرسال الرسل، وإنزال الكتب، وبذلك بطلت عبادة المشركين، وعبادة الأصنام، وبطلت أمور الجاهلية كلها، بظهور الإسلام ولله الحمد.
- فالله أصلح الأرض بذلك، صلاح الأرض هو بتحكيم الشريعة، صلاحها بالإيمان بالله عزَّ وجلَّ، وفساد الأرض تحكيم غير الشريعة، بأن تحكم القوانين الوضعية، وأحكم الطاغوت، وغير ذلك من المعاصي والمخالفات كلها من الفساد في الأرض، كما قال سبحانه: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الروم: 41]، فهذا فسادٌ والعياذ بالله ، لا يصلح الأرض إلا العمل بالكتاب والسنة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وتحكيم الشريعة الإسلامية، هذا الذي يصلح الأرض ويعمر الأرض.

{وقال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ [المائدة: 50]}.

- يقول تعالى مستفهمًا استفهام إنكار: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ ﴾ الذين يريدون أن يتحاكموا إلى غير الشريعة ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ﴾ ، والجاهلية ما كان قبل الإسلام، فلما جاء الإسلام أبطل الله حكم الجاهلية، وأمر بتحكيم

الشريعة الإسلامية، تحكيم الكتاب والسنة، هناك ناسٌ لا يريدون هذا، يريدون أن يبقوا على حكم الجاهلية، ويحبون حكم الجاهلية، وانظر كيف قال: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾، مجرد إرادة هذا ولو لم يمارسه فإنه يدخل في عموم هذه الآية، أنه يبتغي حكم الجاهلية، ومن ابتغى حكم الجاهلية، وأبغض حكم الإسلام، فإنه كافرٌ، ومن ذلك الذين يدعون إلى تحكيم القوانين الوضعية، وإدخالها في المحاكم، ويستبدلون بذلك الشريعة الإسلامية، يدخلون في هذا الوعيد الشديد، فعليهم أن يتقوا الله سبحانه وتعالى في أنفسهم.

{وعن عبد الله بن عمر أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئتُ به»}.

- «**لا يؤمن أحدكم** » الإيمان الكامل
- « **حتى يكون هواه** » يعني رغبته، تبعًا لما جاء به الرسول –صلى الله عليه وسلم.

{قال النووي: هذا حديثٌ صحيحٌ، رويناه في كتاب الحجة، بإسنادٍ صحيحٍ}.

- صححه الإمام النووي، وهو من كبار المحدثين، وذكر أنه موجودٌ في كتاب الحجة على تارك المحجة.

{قال الشعبي: كان بين رجلٍ من المنافقين، ورجلٍ من اليهود خصومةٌ، فقال اليهودي: نتحاكم إلى محمدٍ؛ لأنه عرف أنه لا يأخذ الرشوة، وقال المنافق: نتحاكم إلى اليهود؛ لعلمه أنهم يأخذون الرشوة، فاتفقا على أن يأتيا كاهنًا في جهينة، فيتحاكما إليه، فنزلت ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ﴾ [النساء: 60]}.

- هذه سبب نزول الآية الكريمة، أنه كان بين منافقٍ يدعي الإيمان والإسلام، وبين يهوديٍّ خصومةٌ، فقال اليهودي: نتحاكم إلى محمدٍ؛ لعلمه أنه لا يأخذ الرشوة، وقال المنافق: نتحاكم إلى كعب بن الأشرف، أو إلى اليهود؛ لعلمه أنهم يأخذون الرشوة، فأنزل الله هذه الآية: ﴿ أَلَمْ تَرَ﴾ أي تعلم يا محمد، أي قد رأيت هذا، لما أخبرك الله بذلك، ﴿إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ﴾ [النساء: 60]، هذا من باب الإنكار عليهم ﴿وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ﴾ [النساء: 60]، ثم بين السبب، وهو أن الشيطان يريد أن يضلهم عن الحق ضلالًا بعيدًا، فاتفق رأيهم على أن يذهبوا إلى كاهنٍ من الكهنة، والكاهن هو الذي يدعي علم الغيب، وكان الكهنة يحكمون في أهل الجاهلية، يتخذهم أهل الجاهلية حكامًا يحكمون بينهم، تتنزل عليهم الشياطين، هم يأخذون عن الشياطين، ويتخذهم أهل الجاهلية حكامًا بينهم، لزعمهم أنهم عندهم علمٌ، يعرفون به الحق من الباطل، أو يتعمدون هذا، الله أعلم، لكن لما كان هذا واقعًا في هؤلاء، الله أنكر عليهم، ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ﴾ [النساء: 60].

{وقيل نزلت في رجلين اختصما، فقال أحدهما: نترافع إلى النبي –صلى الله عليه وسلم–، وقال الآخر: إلى كعب بن الأشرف، ثم ترافعا إلى عمر، فذكر له أحدهما القصة، فقال للذي لم يرض برسول الله –صلى الله عليه وسلم: أكذلك؟ قال: نعم، فضربه بالسيف، فقتله}.

- هذه القصة عجيبةٌ، وعظيمةٌ، أنه كان بين يهوديٍّ وبين منافقٍ من المنافقين خصومةٌ، فقال اليهودي: نتحاكم إلى محمدٍ، لعلمه أنه لا يأخذ الرشوة، وقال المنافق: نتحاكم إلى عمر بن الخطاب، فذهبا إلى عمر بن الخطاب –رضي الله عنه–، فذكرا له القصة، فقال للذي قال: نتحاكم إلى عمر: أهكذا؟ يعني، نترك حكم الرسول –صلى الله عليه وسلم–، ونذهب إلى عمر؟ قال: نعم، فأخذ السيف، وضرب عنقه، وقتله؛ لأنه كافرٌ، وهذا من عمر –رضي الله عنه– إنكارٌ للمنكر، وعمر –رضي الله عنه– هو ثاني الخلفاء الراشدين، وهو الذي لا تأخذه في الله لومة لائمٍ. فقتله، فدل على أن من يريد أن يُحكم القانون، ويُلغي الشريعة، أنه كافرٌ، يستحق القتل.

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

الدرس السابع

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، اللَّهمَّ صلِّ وسلم وبارك، على عبدك ورسولك محمدٍ، وعلى آله وصحابته أجمعين، وعلى من تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.



باب من جحد شيئًا من الأسماء والصفات.

{قال المؤلف رحمه الله تعالى:

باب من جحد شيئًا من الأسماء والصفات}

- قال رحمه الله: باب من جحد شيئًا يعني أنكر شيئًا من الأسماء، أسماء الله سبحانه وتعالى، والصفات صفات الله، لأن الله له أسماءٌ وله صفاتٌ.

  قال الله جلَّ وعلَا: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: 180].

  قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن لله تسعةً وتسعين اسمًا، مائةً إلا واحدًا، من أحصاها دخل الجنة».

- وأسماء الله كثيرةٌ،منها ما بينه لنا في كتابه، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وأمرنا أن ندعوه بها. ومنها ما استأثر الله بعلمه، لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى من أسمائه وصفاته، كما قال صلى الله عليه وسلم في دعائه: «أسألك بكل اسمٍ هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدًا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك» ، فدل على أن لله أسماءً وصفاتٍ لا يعلمها إلا هو سبحانه وتعالى، لقوله صلى الله عليه وسلم: «أو استأثرتَ به في علم الغيب عندك».

- والأسماء الحسنى يشتق منها الصفات، فكل اسمٍ من أسمائه يُشتق منه صفةٌ من صفاته ، ولهذا سماها الله بالحسنى، لأن الحسنى هي التي لها معانٍ، ومعانيها أنه يشتق له سبحانه وتعالى من كل اسمٍ صفةً، فالرحمن يدل على الرحمة، والعزيز يدل على العزة، والكريم يدل على الكرم، الحكيم يدل على الحكمة، فليست ألفاظًا مجردةً أو مترادفةً، كما يقوله الملاحدة، وإنما هي أسماءٌ جليلةٌ لكل اسمٍ منها معنى يختص به وصفة تستنتج منه.

- فالله جلَّ وعلَا أمرنا بدعائه بأسمائه، بأن نتوسل إليه بأسمائه وصفاته، ﴿فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: 180]، يعني توسلوا إليه بها، فتقول يا رحمن ارحمني، ويا كريم أكرمني، وهكذا، تدعو الله بأسمائه أن يعطيك ما تضمنه هذا الاسم العظيم.



{قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ﴾ []}

- قال جل وعلا: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾، يعني الكفار، ﴿يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾ يعني ينكرون اسم الرحمن، وذلك لما أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يكتب بينه وبين المشركين صلح الحديبية، أمر عليًّا رضي الله عنه أن يكتب، فكتب عليٌّ رضي الله عنه بسم الله الرحمن الرحيم، قالوا: ما ندري ما الرحمن، إلا رحمن اليمامة، يعنون مسيلمة الكذاب، ما ندري ما الرحمن، ولكن اكتب باسمك اللهم، لأنهم كانوا يستعملون هذا في كتاباتهم، باسمك اللهم، ولا يكتبون بسم الله الرحمن الرحيم، ولهذا قال الله جلَّ وعلَا: ﴿وَهُمْ﴾ أي المشركون ﴿يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾ أي ينكرون اسم الرحمن.

{وفي صحيح البخاري قال عليٌّ: "حدثوا الناس بما يعرفون، أتريدون أن يُكذَّب الله ورسوله"}

- نعم تتمة للكلام السابق، أن المشركين يكفرون بالرحمن، ويكفرون بأسماء الله وصفاته، فهم سلف الجهمية والمعتزلة، المشركون هم سلف الجهمية والمعتزلة، فالجهمية والمعتزلة يتبعون المشركين، أهل الجاهلية ، لماذا؟ لأن الجهمية والمعتزلة ينكرون أسماء الله وصفاته، وإنما يثبتون ألفاظًا مجردةً، لا تدل على معانٍ عندهم.
- عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه ابن عم الرسول صلى الله عليه وسلم، ورابع الخلفاء الراشدين، يقول للوعاظ الذين يعظون الناس: "حدثوا الناس بما يعرفون" لأن الواعظ يتصيد أي كلامٍ ويأتي به يلقيه على العوام، وقد يستنكرونه، هو صحيحٌ لكن ما درسوه ولا عرفوه، فدل هذا على أن المتعلم يتدرج به شيئًا فشيئًا، ولا يلقى عليه شيئًا لا تبلغه معرفته حتى يتدرج به شيئًا فشيئًا فيعرفه، أما أن تأتي على ناسٍ جهالٍ تذكر لهم مثلًا العرش، صفة العرش، تذكر لهم الجنة والنار وما فيهما، تذكر لهم أشياءً غريبةً قد يحملهم ذلك على التكذيب، فلهذا قال: "أتريدون أن يُكذَّب الله ورسوله" قد دل على أنه يتعين على الدعاة والوعاظ أن يأتوا بالأشياء الواضحة، والأشياء الثابتة والصحيحة التي لا يستغربها الجاهل، أما إذا تحدثنا عن عالمٍ فلا بأس أن تتحدث معه بما تعرف ولو كان هذا الذي تعرفه يخفى على الجهال، فحديثك مع العالم مناسبٌ، والوعاظ والداعي إلى الله يراعي أحوال المدعوين الذين يلقي عليهم الموعظة، هل تتحمل عقولهم هذه الأشياء التي يخبرهم بها أو ينكرونها ويكذبونها وهي صحيحةٌ، فيكون الإثم على هذا الداعية وهذا الواعظ، فيجب عليهم أن يحدثوا الناس بالأشياء الواضحة التي لا تستنكرها عقوله.

{وروى عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاووس عن أبيه عن بن عباس، أنه رأى رجلًا انتفض لما سمع حديثًا عن النبي -صلى الله عليه وسلم- في الصفات استنكارًا لذلك، فقال: ما فرقوا هؤلاء يجدون رقةً عند محكمه ويهلكون عند متشابهه.. انتهى}.

- دل هذا الأثر عن ابن عباس -رضي الله عنه- على أن الأسماء والصفات ليست من الأشياء التي تستغرب عند الناس، بل هي ثابتةٌ وأنها لا تدخل في قول عليٍّ -رضي الله عنه- "حدثوا الناس بما يعرفون" فإن الأسماء والصفات يعرفونها والله بينها في كتابه، بينها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في سنته، فليست من الأشياء التي لا تعرف، فلا تدخل في قول عليٍّ -رضي الله عنه- "حدثوا الناس بما يعرفون" بدليل أن ابن عباس -رضي الله عنه- لما حدث بشيءٍ من أسماء الله وصفاته، انتفض بعض الحاضرين من الاستغراب والخوف والهلع، لأن هذا شيءٌ يخفى عليهم، لأنهم ينكرون الأسماء والصفات، فإذا حدثوا بها استغربوا وأنكروها، فدل على أن الأسماء والصفات ليست مما لا يعرفه الناس وأنهم يحدثون بها، وأن ابن عباس ذكر اسمًا من أسماء الله -عزَّ وجلَّ- في كلامه، فانتفض بعض الحاضرين الذين ينكرون ويستغربون أسماء الله وصفاته، لما تلقوه من شبهات المشبهين

الذين ينكرون الأسماء والصفات، كالجهمية والمعتزلة ومن اقتدى بهم، انتفض هذا الرجل لأنه على العقيدة التي هي إنكار الأسماء والصفات.

- فقال ابن عباس -رضي الله عنهما- فرقوا هؤلاء، فرق أي الخوف، استغربوا، ما الذي سبب لهم الفرق، ما فرقوا هؤلاء؟ يجدون رقةً عند محكمه، يعني الأسماء والصفات من المحكم وليست من المتشابه، والمحكم هو الذي يعرف معناه ويجب اعتقاده والعمل به، والمتشابه هو الذي لا يعرف معناه إلا إذا رُد إلى المحكم. قال الله -جلَّ وعلَا: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: 7]، المحكم والمتشابه، فأهل الضلال يأخذون المتشابه وينكرون المحكم، وأما أهل السنة والجماعة فإنهم يأخذون بالمحكم والمتشابه، يؤمنون بهم جميعًا، ويردون المتشابه الذي لا يعرف معناه إلى المحكم الذي يبين معناه، فالمتشابه هو الذي لا يعرف معناه من نفسه إلا برده إلى غيره، هذا المتشابه، وأما المحكم هو الذي يعرف معناه منه ولا يحتاج إلى تفسيره بغيره.
- الأسماء والصفات من أي القسمين؟ من المحكم الذي يعرف معناه ويفسر، وأما المتشابه فلا يعرف معناه ولا يفسر إلا برده إلى المحكم ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾ أي المحكم والمتشابه ﴿آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ يردون المتشابه إلى المحكم ويفسروه ويوضحه.

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

الدرس الثامن

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، اللَّهمَّ صلِّ وسلم وبارك، على عبدك ورسولك محمدٍ، وعلى آله وصحابته أجمعين، وعلى من تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

{كنا قد قرأنا بعض الآيات المتعلقة بباب من جحد شيئًا من الأسماء والصفات، وقرأنا بعض الأحاديث المتعلقة في هذا الباب، لعلكم تستهلون يا شيخ صالح هذا الدرس لمقدمةٍ كي نطرح بعض الأحاديث في هذا الباب}

- هذا الباب هو باب من أنكر شيئًا من الأسماء أي أسماء الله سبحانه وتعالى، والصفات، وهذا ينطبق على الجهمية وعلى المعتزلة وعلى الأشاعرة أيضًا كلهم يدخلون في أنهم ينكرون الأسماء والصفات، لكن يقرون ألفاظها ولكنهم ينكرون معانيها، فهذا ضلالٌ مبينٌ.
- وكذلك أهل الزيغ، والذين يريدون المغالطات، ويريدون التضليل، يلقون الشبه، يتبعون المتشابه ويتركون المحكم، ليضللوا الناس، فيلقون عليهم المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله، والراسخون في العلم، الراسخون في العلم يردون المتشابه إلى المحكم فيتبين، أما أهل الضلال فيتبعون ما يتشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، يعني يأخذون بالمتشابه ويخوضون فيه ويشوشون على الناس، وهو لا مطمع في إدراك معانيه، حتى يرد إلى المحكم ليفسره ويوضحه.

{ومن الأحاديث: لما سمعتْ قريشُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الرحمن أنكروا ذلك، فأنزل الله فيهم ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾ [الرعد: 30]}

- نعم، كما سبق أن النبي صلى الله عليه وسلم في صلحه مع المشركين عام الحديبية، أمر عليًّا رضي الله عنه أن يكتب وثيقة الصلح، فكتب علي رضي الله عنه: بسم الله الرحمن الرحيم، فقالوا: ما نعرف الرحمن، ولكن اكتب باسمك اللهم، لأنهم يكتبون هذا في مقدمات كتاباتهم.
- فأنزل الله ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾ [الرعد: 30].

{قال المؤلف رحمه الله تعالى في هذا الباب مسائل عدةً، ومنها: عدم الإيمان بجحد شيءٍ من الأسماء والصفات.}

- نعم عدم الإيمان لمن جحد شيئًا من الأسماء والصفات، فلا يجتمع الإيمان مع جحد الأسماء والصفات، لأن الله سمى جحْد الأسماء والصفات كفرًا، والمراد به الكفر الأكبر؛ لأنه يجب الإيمان بالله، والإيمان بالله يشمل الإيمان بربوبيته وإلهيته وأسمائه وصفاته، لابد من هذه الأمور الثلاثة حتى يتحقق الإيمان، ويصدُق الإيمان، لازم من

هذه الثلاثة، الإيمان بالله وبكتابه وسنة رسوله، والإيمان بأسماء الله وصفاته التي وصف نفسه بها، أو سمى نفسه بها، أو وصفه بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو سماه بها، لا يتحقق الإيمان إلا بالإقرار بذلك واعتقاده.

{المسألة الثانية: تفسير آية الرعد}

- تفسير آية الرعد: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ ﴾ أن ذلك لما أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يكتب الصلح بينه وبينهم في الحديبية، كتب عليٌّ رضي الله عنه بسم الله الرحمن الرحيم، كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يكتب ذلك في مقدمات رسائله، أنكروا وقالوا: ما نعرف الرحمن إلا رحمن اليمامة، وهو مسيلمة الكذاب.
- فأنزل الله هذه الآية: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾ فيكون هذا هو سبب نزول هذه الآية.

{المسألة الثالثة: ترك التحديث بما لا يفهم السامع}

- أن الذي يحدث الناس ويذكرهم، ويدعوهم إلى الله، لا يلقي عليهم الغرائب، إذا كانوا عوامًا لا يعرفون هذه الأشياء، بل يحدثهم بما يتطابق مع عقولهم شيئًا فشيئًا، يتدرج بهم شيئًا فشيئًا، ولا يهجم عليهم بأشياءٍ لا يعرفونها، فهذا من الحكمة، أن الواعظ والمذكر والداعية إلى الله يحدث الناس بالأشياء الواضحة، التي لا يستنكرونها، ويتدرج بهم شيئًا فشيئًا.

{المسألة الرابعة: ذكر العلة أنه يفضي إلى تكذيب الله ورسوله}.

- نعم، ذكر العلة في قول عليٍّ -رضي الله عنه- قال: "حدثوا الناس بما يعرفون، أتريدون أن يكذب الله ورسوله" فإذا حدثوا بما لا يعرفون كان ذلك وسيلةً إلى أن يكذب الله ورسوله، ويكون السبب هو الذي لبس عليهم وألقى عليهم شيئًا لم يبلغوه، كلٌّ يحدث بقدر فهمه وبقدر معرفته، ويتدرج معه، لا نقول يبقى على جهله وعلى حاله، لا، يتدرج معه في التعليم، ومن هنا يغلط كثيرٌ من الذين يسمون القراء لا نقول العلماء ولكن القراء الذين يقرءون في الكتب الآن، ويأخذون على علاته، قد يكون بها أشياءٌ غير صحيحةٍ، قد يكون فيها أشياء تضليلٍ، قد يكون مدسوسًا بها شيءٌ من الضلال، فلا يجوز أخذ العلم عن الكتب، ولكن الكتب تقرأ على أهل العلم ويشرحونها ويبينون معانيها، وينزهونها مما ألصق بها مما ليس من معانيها وما كتب فيها من الغلط والضلال، ينفونه حتى يكون الناس على بصيرةٍ، وحتى تنقطع أطماع المضللين ودعاة السوء.

{إذا أولت الصفات يا شيخ صالح تأويلاً غير صحيح، ما الحكم؟}

- إذا كان الذي أولها بغير معانيها يعرف معانيها، فهذا لا شك في كفره، وأما إذا كان لا يعرف معانيها، فهذا يكون قد غلط، لماذا يتجشم على شيءٍ لم يصل إلى معرفته ولم يبلغه علمه.

{أسماء الله أعلامٌ وأوصافٌ، وليست أعلامًا محضة، اشرحوا لنا هذه العبارة}.

- نعم هذه من المسائل الباب، أن أسماء الله أعلامٌ وأوصافٌ، يعني صفاتٌ، لأن كل اسمٍ منها يدل على صفةٍ، الرحمن يدل على الرحمة، والعزيز يدل على العزة والقوة، الحكيم يدل على الحكمة، الغفار يدل على كثرة المغفرة لذنوب عباده، التواب يدل على أنه يقبل التوبة، أنه كثير القبول لتوبة التائبين، وهكذا أسماء الله وصفاته، وليست ألفاظًا مجردةً كما تقوله الجهمية والمعتزلة، الجهمية ينكرونها إنكارًا باتًا، ألفاظها ومعانيها -

والعياذ بالله-، أما المعتزلة يثبتون ألفاظها، وينكرون معانيها، ويقولون: هي ألفاظٌ لا تدل على معانٍ، بل هي ألفاظٌ مجردةٌ.

{هل أسماء الله محصورةٌ؟}.

- لا، ليست محصورةً ، الله -جلّ وعلَا- يقول: ﴿وَللهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: 180]، ولم يحدد، الرسول -صلى الله عليه وسلم- قال: «إن لله تسعةً وتسعين اسمًا، مائةٌ إلا واحدًا، من أحصاها دخل الجنة» ، وهذا لا يدل على حصرها في تسعةٍ وتسعين، بل هذه التسعة والتسعين من أحصاها، يعني من عرفها، وعمل بها، دخل الجنة، وليس أن أسماء الله محصورةٌ في هذه التسعة والتسعين، بل هي أكثر من ذلك، لا يعلمها إلا الله، ولكن هذه التسعة والتسعون، من أحصاها دخل الجنة، يعني من حفظ وعرف معانيها، وعمل بها، دخل الجنة ولا يمنع أن يكون هناك غيرها من أسماء الله وصفاته؛ لأن العدد كما يقولون، لا يدل على الحصر.

{ الصفات الذاتية والفعلية والخبرية }.

- الصفات الذاتية، هي المتعلقة بالذات، كالعليم، والحكيم، هذه متعلقةٌ بالذات، لا تنفك عنها أبدًا،
- وأما الفعلية، فهي التي يفعلها إذا شاء -سبحانه وتعالى-، مثل الكلام، الله يتكلم متى شاء بما شاء، كيف شاء -سبحانه وتعالى-، الاستواء على العرش، هذا من صفات الله تعالى، العلو هذا من صفات الذات، هذا الفرق بينهما، العلو من صفات الذات، الذي لا ينفك عن الله، لا يزال الله عاليًا على مخلوقاته -سبحانه وتعالى-، أما الاستواء، فيفعله إذا شاء، يصعد ويرقى على العرش، ويستقر على العرش إذا شاء، هذه من صفات الأفعال، التي يفعلها إذا شاء -سبحانه وتعالى.
- الخبرية قسيمة للصفات الذاتية. الخبرية هي صفات الأفعال.

{أيهما أوسع، الصفات أم الأسماء؟}.

- ما من اسمٍ من أسماء الله، إلا واشتقوا منه صفةً، كلها واسعةٌ، أسماؤه وصفاته، قال تعالى: ﴿ ورحمتي وسعت كل شيء ﴾.

{نريد أن نختم هذا الباب العظيم بكلمةٍ أخيرةٍ، تفضل يا شيخ صالح}.

- هذا الباب، بابٌ عظيمٌ، وهو الإيمان بأسماء الله وصفاته، وباب من جحد شيئًا من الأسماء والصفات، يعني ما حكمه في الإسلام؟ ذكر الشيخ الآيات والأحاديث الواردة في هذا، ونحن بيناها حسب ما نستطيع، وشرحها موجود في فتح المجيد، أو في تيسير العزيز الحميد، أو في غيرها من شروح التوحيد.

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

الدرس التاسع

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، اللَّهمَّ صلِّ وسلم وبارك، على عبدك ورسولك محمدٍ، وعلى آله وصحابته أجمعين، وعلى من تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

{قال المؤلف رحمه الله تعالى: قول الله تبارك وتعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الكَافِرُونَ﴾ [النحل: 83]}

- من الواجب ومن حقوق التوحيد ومكملات التوحيد الاعتراف بنعم الله عزَّ وجلَّ، وشكره عليها، هذا من تمام التوحيد، ومن أعظم النعم التي أنعم الله بها على الخليقة عمومًا وعلى هذه الأمة خصوصًا نعمة الإسلام والإيمان، ونعمة إرسال الرسل عليهم الصلاة والسلام، يُبيّنون للناس دينهم، ويعلموهم ما يجب عليهم، ويحلون مشكلاتهم، وخصوماتهم، بموجب العدل الإلهي الشرعي المنزَّل.
- هذا من أكرم النعم التي يشكر الله جلَّ وعلَا عليها، شكرُ النعم واجبٌ، **وله ثلاثة أركانٍ لا يصح إلا بها:**
  - **الركن الأول:** التحدث بها ظاهرًا، ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: 11].
  - **الركن الثاني:** الاعتراف بها باطنًا أنها من عند الله سبحانه وتعالى، لا من عنده غيره.
  - **الركن الثالث:** صرفها في طاعة الله سبحانه وتعالى ومرضاته.
- وهذه أركان الشكر التي لا يتم إلا بها، وهو واجبٌ، ومن أعظم النعم إرسال الرسل، ولا سيما خاتمهم وإمامهم محمدٌ صلى الله عليه وسلم.
- فإن بعثته من أعظم النعم، ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: 164].
- هذا من أكبر النعم، بعثة محمدٍ صلى الله عليه وسلم في هذه الأمة، فيجب شكر الله جلَّ وعلَا على هذه النعمة العظيمة، لكنَّ المشركين والكفار يعترفون ببعثة الرسول صلى الله عليه وسلم، يعترفون بها باطنًا، يعرفون أنه رسول الله حقًّا، ولكن يحملهم الحمية الجاهلية ألا يتركوا دين آبائهم وأجدادهم، ويتبعوا هذا الرسول صلى الله عليه وسلم.
- هم يعرفون الله في قرارة أنفسهم، وينكرونها بأقوالهم وأفعالهم، قال الله جلَّ وعلَا: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: 33].
- فهذا معنى قوله: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ﴾ [النحل: 83]، ونعمة الله هنا يراد بها بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم، وقيل عموم النعم، يعترفون أنها من الله، ومنها بل أهمها وأعظمها بعثة محمدٍ صلى الله عليه وسلم، ﴿ثُمَّ

﴿يُنكِرُونَهَا﴾ وينسبون النعم إلى أصنامهم، أو إلى أفعالهم وقوتهم وحولهم، ولا ينسبونها إلى الله، وأنها منه سبحانه فيشكرونه عليها.

{قال مجاهد: ما معناه هو قول الرجل هذا مالي ورثته عن آبائي}

- قال مجاهد بن جبر، تابعيٌّ جليلٌ، تلميذ ابن عباس رضي الله عنهما، ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ﴾ يعني في تفسير هذه الآية، ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ هو قول الرجل هذا مالي ورثته عن آبائي، ولا يعترف أنه من فضل الله عليه، وأن الله أنعم به عليه، بل يقول هذا مالي، وأنا ورثته عن آبائي، يجحد أنه من الله سبحانه وتعالى، ويقول إنه ميراثٌ عن آبائه، وأجداده، وما أشبه ذلك.

{وقال عون بن عبد الله: يقولون: لولا فلان لم يكن كذا}

- عون بن عبد الله رضي الله عنه ورحمه يقول في تفسير الآية لولا فلان لم يكن كذا، لولا فلان هو الذي أوجد هذه النعمة أو هذا الرزق ما حصل هذا الشيء، فينسبون وجود النعم ووجود الأرزاق إلى المخلوقين.
- وكلمة لولا حرف امتناعٍ لوجودٍ، امتناع أي لولا وجود فلان ما حصلت هذه النعمة، فينسبون إلى المخلوقين ولا ينسبونها إلى الله، وهذا من كفر النعم والعياذ بالله.

{وقال ابن قتيبة: يقولون هذا بشفاعة آلهتنا}

- وقال ابن قتيبة وهو إمامٌ جليلٌ من أئمة التفسير، ينسبون هذه النعم إلى قبور الأولياء، ولأنهم يعتقدون في قبور الأولياء أنها مراقب الصالحين، وأن المقبورين والمدفونين هم السبب في وجود هذه النعم، فلولا وجود هذا القبر في هذا البلد، ما حصلت له الأرزاق وما أشبه ذلك، وكل مسجدٍ عندهم ليس فيه قبرٌ فليس به شيءٌ، وإنما يعتبرون المساجد التي فيها القبور والأضرحة، وينسبون النعم إليها، ووجود القبر في البلد أو في الإقليم عندهم هو الذي يجلب لهم النعم.

{وقال أبو العباس بعد حديث زيد بن خالد، الذي فيه « وأن الله -تعالى- قال: أصبح من عبادي مؤمنٌ بي وكافرٌ}.

- **قال أبو العباس أي شيخ الإسلام ابن تيمية، هذه كنيته -رحمه الله- في قول النبي -صلى الله عليه وسلم- « أصبح من عبادي مؤمنٌ بي وكافرٌ»** بعد نزول المطر عليهم بالليل.

{وهذا كثيرٌ في الكتاب والسنة يظن-سبحانه- من يضيف إنعامه إلى غيره ويشرك به}.

- نعم الحديث الذي ذكره أبو العباس، أنه لما كان النبي -صلى الله عليه وسلم- هو وأصحابه في الحديبية، قريبٌ من مكة على حدود الحرم من الجهة الغربية، وهو ما يسمى الآن بالتنعيم، كانوا على حدود الحرم فنزل عليهم مطرٌ بالليل، قال النبي -صلى الله عليه وسلم- بعد صلاة الصبح لأصحابه: **«أتدرون ماذا قال ربكم؟»** قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: **«قال: أصبح من عبادي مؤمنٌ بي وكافرٌ، فأما من قال مُطرنا لنوء كذا وكذا فذلك كافرٌ بي مؤمنٌ بالكوكب، وأما من قال مُطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمنٌ بي كافرٌ بالكوكب»**، فمن نسب النعم ومنها نزول المطر إلى الأنواء وإلى المناخات وما أشبه ذلك، فهذا كافرٌ بالله، حيث نسب نعمته إلى غيره، إلى الكوكب، والكواكب ليس لها تدبيرٌ، فمن نسب الحوادث الأرضية إلى الأحوال الفلكية، فهذا هو التنجيم الذي جاء الكتاب والسنة بذمه وتضليل أهله، فالنعم تنسب إلى الله من المطر وغيرها، قال: **«أصبح من عبادي مؤمنٌ**

بي وكافرٌ. فأما من قال مُطرنا بنوْء كذا وكذا، هذا كافرٌ بي مؤمنٌ بالكوكب، وأما من قال مُطرنا بفضل الله وبرحمته، فذلك مؤمنٌ بي كافرٌ بالكوكب».

{قال بعض السلف هو كقولهم كانت الريح طيبةً والملاح حاذقٌ ونحو ذلك}.

- من ذلك نسبة النعم إلى غير الله، أن أهل المراكب في البحار إذا سلموا في رحلتهم، فإنهم ينسبون هذه السلامة إلى الملاح قائد السفينة، فيقولون إنه كان حاذقًا في قيادة السفينة، وعارفًا بذلك، ولا يقولون أن سلامتهم بفضل الله وبرحمته، وإنما قائد السفينة السبب من الأسباب، إن شاء الله نفع به وإن شاء لم ينفع به، فكم غرقت من سفينةٍ ومراكب فيها ملاحون ماهرون، ولم ينفعهم ذلك.

{شيخ صالح في بداية هذا الباب، ظهرت هذا مالي ورثته عن آبائي، ظاهر العبارة بأنه لا شيء فيها، لماذا مجاهد منع ذلك؟}.

- ما يقول هذا مالي بفضل الله، حصلتُ عليه بفضل الله وإنما حصلتُ عليه بالوراثة من آبائي، فينسبه إلى آبائه ولا يذكر فضل الله عليه.

{قال المؤلف -رحمه الله تعالى- فيه مسائل، الأولى: تفسير معرفة النعم وإنكارها}.

- تفسير معنى النعمة ومعنى إنكارها، النعمة عمومًا ما يمن الله به على عباده، وأعظم ذلك بعثة الرسل ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ﴾ [آل عمران: 164] هذه أعظم النعم، بعثة الرسل لهداية الخلق من الكفر والضلال وأعمال أهل النار، وإرشادهم إلى التوحيد وإلى الأعمال الصالحة وأعمال أهل الجنة، بعثة الرسل -عليهم الصلاة والسلام- ومنهم نبينا محمدٌ -صلى الله عليه وسلم-، فهم يعترفون أنه رسول الله بقرارة أنفسهم، ولكنهم لا يتبعون ولا يقتدون به -صلى الله عليه وسلم- وإنما يبقون على كفرهم وضلالهم من باب العناد والجحود -ولا حول ولا قوة إلا بالله- فهذا أعظم كفر النعم، كفر الإيمان بالرسالة واتباع الرسل.

{المسألة الثانية: اجتماع الضدين في القلب}.

- نعم يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها، الضدان هم المعرفة والإنكار، المعرفة الإثبات والنفي، هذان يجتمعان في القلب، فهم في قلوبهم وقرارة أنفسهم يعرفون أنه رسول الله، ثم ينكرونه بقلوبهم وألسنتهم وأعمالهم -لا حول ولا قوة إلا بالله-، وكان الواجب أن يتبعوه ويؤمنون به، ما دام أنهم يعترفون أنه رسول الله، لماذا يبقون على كفرهم ولا يتبعونه؟ لولا التعصب الجاهلي المذموم.

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

الدرس العاشر

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، اللَّهمَّ صلِّ وسلم وبارك، على عبدك ورسولك محمدٍ، وعلى آله وصحابته أجمعين، وعلى من تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

{قال المؤلف رحمه الله تعالى: باب قول الله تبارك وتعالى: ﴿فَلاَ تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 22].}

- تفسير هذه الآية في هذا الباب، حتى يتضح معناها، ذلك أن الله سبحانه وتعالى قرر قبل ختام هذه الآية نعمه على عباده، وانفراده بالخلق والتدبير، ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلاَ لَهُ الخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ العَالَمِينَ﴾ [الأعراف: 54]، وفي آية البقرة يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ فَلاَ تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[البقرة: 21، 22].
- ذكر أدلة التوحيد الكونية، وهو خلق السموات والأرض، وأمر بعبادته وحده، الذي فعل هذه الأفعال هو الذي يستحق العبادة، أما الأصنام والأشجار والأحجار والقبور فإنها لم تخلق شيئًا، ولا تقدر على شيءٍ، فلماذا تتخذونها مع الله، وأنتم تعلمون أنها لا تشارك الله في هذه الأفعال العظيمة، لم تخلق السموات والأرض، ولم تُنزل المطر، ولم تُنبت النبات، فلا تعبدوها، وتجعلوها شريكةً لله، والأنداد شركاءٌ، فلا تجعلوا لله شركاءَ من هذه المخلوقات التي هي عاجزةٌ، لا تنفع نفسها، فكيف تنفع غيرها، ولا تدفع عن نفسها فكيف تدفع عن غيرها.
- لكنهم أعماهم الضلال، وأعماهم التعصب الأعمى لما وجدوا عليه آباءهم، فبقوا على عبادة غير الله سبحانه وتعالى، وهم يعلمون أن هذه المعبودات ليس لها من الأمر شيءٌ، وأنها لم تخلق شيئًا، وأنها لا تقدر على شيءٍ.

{قال ابن عباس في الآية: الأنداد هو الشرك أخفى من دبيب النمل على صفاةٍ سوداءَ في ظلمة الليل}

- يقول عبد الله بن عباس رضي الله عنهما حبر الأمة، ترجمان القرآن، يقول: إن الشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النمل السوداء على صفاةٍ سوداءَ في ظلمة الليل، يعني الشرك الأصغر، وهو أن هناك من ينسب الخير إلى فعله وإلى مهارته وقدرته، أو ينسبها إلى غيره من المخلوقين، وهذا إنكارٌ لنعمة الله سبحانه وتعالى.
- فإن الذي أنعم بالنعم هو الله سبحانه وتعالى، وإذا جرت على أيدي مخلوقين فإنما هم سببٌ من الأسباب، فالسبب لا يكون إلهًا مع الله، ولا تتخذ الأسباب أندادًا لله سبحانه وتعالى، فإن الله جلَّ وعلَا هو مسبب الأسباب.

- فلو شاء لم تنفع هذه الأسباب، الأسباب لا تنفع إلا بمشيئة الله وتدبيره سبحانه وتعالى، فلا تعتمدوا على الأسباب، ولكن اعتمدوا على الله سبحانه مع اتخاذ الأسباب، نحن لا نقول بإلغاء الأسباب، لكن نقول تتخذ الأسباب النافعة مع التوكل على الله سبحانه وتعالى ، فلا يكفي التوكل على الله وترك الأسباب، ولا يكفي اتخاذ الأسباب مع ترك التوكل على الله، بل لابد من الجمع بينهما.

{وهو أن تقول والله وحياتك يا فلان، وحياتي}

- ومنه الشرك الأصغر، الحلف بغير الله، تقول: وحياتك يا فلان، وحياتي، والله جلَّ وعلَا نهى عن الحلف بغير الله، والرسول صلى الله عليه وسلم نهى عن الحلف بغير الله سبحانه وتعالى.
- والحلف تعظيمٌ للمحلوف به، ولا يكون هذا إلا لله سبحانه وتعالى، قال صلى الله عليه وسلم: **«من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك»** ، وقال صلى الله عليه وسلم: **«لا تحلفوا بآبائكم، من كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمتْ»**.
- فلا يجوز الحلف بغير الله، لا بحياة فلان، ولا بغيره.

{وتقول: لولا كُليْبة هذا لأتانا اللصوص}

- لولا كُليْبة هذا يعني يحرس، لأن الكلب يحرس المكان، وهذا سببٌ من الأسباب، وليس هو الذي حفظ هذا البيت أو هذا المكان إنما الذي حفظه هو الله سبحانه وتعالى، حراسة الكلب أو غيره سببٌ من الأسباب، لو شاء الله لم ينفع هذا السبب، وسُرق المكان وفيه الحارس وفيه الكلبة، وهذا كثيرًا ما يقع، فلا يجوز الاعتماد على الأسباب، وإنما تُتخذ الأسباب ويكون الاعتماد على الله سبحانه وتعالى.
- والله أمر باتخاذ الأسباب، وأمر بالتوكل عليه وحده.

{ولولا البط في الدار لأتانا اللصوص}

- ولولا البط في الدار، يعني وجود البط، لأن البط ينبه على من دخل أهل البيت، لا هذا سببٌ من الأسباب، قد يدخل اللص والبط في البيت، ولا يستيقظ أهل البيت إذا أراد الله سبحانه وتعالى السرقة لهذا البيت، كثيرًا ما يقع هذا، فنحن نتخذ الأسباب والحراسات ولكن نعتقد أن الحافظ هو الله سبحانه وتعالى.
- وهو الرقيب سبحانه وتعالى، ولو شاء لم تنفع هذه الأسباب، ولكنها تتخذ وينفع بها أحيانًا أو في الغالب، لكن أحيانًا لا تنفع الأسباب، الاعتماد إنما هو على الله سبحانه وتعالى، والتوكل عليه مع اتخاذ الأسباب فلابد من الجمع بين الأمرين.
- اتخاذ الأسباب النافعة، مع التوكل على الله سبحانه وتعالى في حصول المقصود.

{أن يقول لصاحبه: ما شاء الله وشئت}

- وكذلك من اتخاذ الأنداد أن يقول الرجل لصاحبه ما شاء الله وشئتَ، فعطف المخلوق على الخالق بالواو، وشئتَ، والواو تقتضي الاجتماع والاقتران، ولا تقتضي الترك، تقتضي الاجتماع فقط، والاقتران، ولا تقتضي الترتيب، مثل ثم، ولذلك تقول: ما شاء الله ثم شئتَ، فإذا أتيتَ بثم، صح التعبير، وانتفى الشرك؛ لأنك جعلتَ المخلوق بعد الخالق، ومشيئة المخلوق، بعد مشيئة الله، كما قال جلَّ وعلَا: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: 29]، فالمخلوق له مشيئةٌ، والله له مشيئةٌ، ولكن مشيئة المخلوق، لا تنفع ولا تقي من

المحظور، إلا بعد مشيئة الله -سبحانه وتعالى-. فإذا شاء نفعتْ مشيئة المخلوق، وإذا شاء لم تنفع، وسلبها النفع.. والإنسان يعتمد على الله، يتخذ الأسباب الواقية والنافعة، لكن يعتمد في حصول النتائج على الله -سبحانه وتعالى-، فلا يغتر بقوة الأسباب، أو قوة السلاح، أو قوة الحراس، لا يعتمد على هذا، يعتمد على الله -سبحانه وتعالى-، وإنما هذه أسباب أمر الله باتخاذها للوقاية فقط، لا للاعتماد عليها من دون الله -عزَّ وجلَّ.

{وقول الرجل: لولا اللهُ وفلانٌ}.

- لولا اللهُ وفلانٌ، مثل: ما شاء الله وشئتَ، فيه الجمع بين الله والمخلوق بالواو، والواو تقتضي الاجتماع والاقتران، فجعل المخلوق مساويًا للخالق، وهذا شركٌ، والواجب أن يقول: لولا اللهُ ثم فلانٌ، ما شاء الله ثم شاء فلانٌ، وما أشبه ذلك، فيأتي بثم التي هي للترتيب، وتجعل عمل المخلوق، أو مشيئة المخلوق، بعد مشيئة الله -سبحانه وتعالى.

{قول الرجل: لولا الله وفلانٌ. لا تجعل فيها فلانًا. هذا كله به شركٌ}.

- وقول الرجل: لولا الله وفلانٌ، قال -رضي الله عنه: لا تجعل فيها فلانًا، يعني لا تجعل فلانًا مساويًا لله، بالعطف بالواو، فهذا شركٌ، نوعٌ من الشرك، ولكنه شركٌ أصغرُ، ولكن تقول: لولا الله ثم فلانٌ، قوله: لا تجعل فيها فلانًا، يعني فلانًا فقط، أما إذا جعلتَ فلانًا بعد الله -جلَّ وعلَا-، فقلت: لولا الله ثم فلانٌ، ما شاء الله ثم شاء فلانٌ، فإنك حينئذٍ أتيتَ بالتوحيد، وجعلت مشيئة المخلوق، وعمل المخلوق بعد مشيئة الله، وعمل المخلوق.

{رواه ابن أبي حاتم}.

- روى هذا الأثر، ابن أبي حاتم، من كبار المفسرين، هو وأبوه، كلاهما محدثان مفسران -رحمهم الله.

{وعن ابن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-، أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «من حلف بغير الله، فقد كفر أو أشرك»}.

- **«من حلف بغير الله، فقد كفر أو أشرك»**، كفر بالله -عزَّ وجلَّ-، أو أشرك بالله -عزَّ وجلَّ-، وهذا من الكفر الأصغر، ومن الشرك الأصغر، الحلف بغير الله؛ لأن الحلف تعظيمٌ للمحلوف به، والذي يستحق التعظيم المطلق، هو الله -سبحانه وتعالى-، ولا أجعل المخلوق مساويًا لله -عزَّ وجلَّ-، في ما لا يقدر عليه إلا الله -عزَّ وجلَّ.

{رواه الترمذي، وحسنه وصححه الحاكم}.

- رواه الترمذي، الإمام الجليل، في جامع الترمذي، الذي هو سنن الترمذي.

{وقال ابن مسعود: لأن أحلف بالله كاذبًا، أحب إليَّ من أن أحلف بغيره صادقًا}.

- يقول ابن مسعود -رحمه الله-، الصحابي الجليل، العالم بمعاني القرآن، ونزوله، ومعانيه -رضي الله عنه-، يقول: لأن أحلف بالله كاذبًا، أحب إليَّ من أن أحلف بغيره صادقًا، ما فيه شكٌّ أن الحلف بالله كاذبًا، أنه جريمةٌ عظيمةٌ، ومنكرٌ؛ لأن الحلف بالله يجب أن يكون صادقًا، ولا يحلف بالله كاذبًا؛ لأن هذا فيه استهانةٌ باسم الله وتعظيمه، لكن يقولون: سيئة الشرك، أعظم من سيئة الكذب، الكذب محرمٌ، والشرك محرمٌ، ولكن الشرك هو أعظم المحرمات، فالشرك أعظم من الكذب. فابن مسعود -رضي الله عنه-، لفقهه وفهمه، يقول: لأن أحلف بالله كاذبًا، مع أن الكذب حرامٌ، أحب إليَّ من أن أحلف بغيره صادقًا، لأن الحلف بغير الله شركٌ، والكذب أيضًا

محرمٌ، لكن يكون من الذنوب، وهو دون الشرك، فلذلك يقول: لو ارتكبتُ الكذب، أحبُّ إليَّ من أن أرتكب الشرك، وإن كان الشرك شركًا أصغر، فهو أعظم من الكذب، فعلى المسلم أن يتجنب الكذب، ولا يقول إلا صدقًا، ولا يحلف بالله إلا وهو صادقٌ، ولا يحلف به كاذبًا، فإن هذا من الاستهانة بعظمة الله -سبحانه وتعالى.

{الحديث الأخير في هذا الباب: وعن حذيفة -رضي الله عنه-، أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «لا تقولوا: ما شاء الله، وشاء فلانٌ، ولكن قولوا: ما شاء الله، ثم شاء فلانٌ»، رواه أبو داود، بإسنادٍ صحيحٍ}.

- نعم الله -جلَّ وعلَا- له مشيئةٌ، وهي المشيئة النافذة، والمخلوق له مشيئةٌ أيضًا، قال الله -جل وعلا: ﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾ [التكوير: 28]، فأثبت المشيئة للمخلوق، ثم قال: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾، فجعل مشيئة المخلوق تابعةً لمشيئة الله -سبحانه وتعالى-، ولا تكون مشيئة المخلوق مستقلةً أو مساويةً لمشيئة الله سبحانه، بل يجب الاعتراف بهذا، فتقول: ما شاء الله، ثم شاء فلانٌ، ولا تقول: ما شاء الله، وشاء فلانٌ.
- قال رجلٌ للنبي -صلى الله عليه وسلم: ما شاء الله وشئتَ، قال: **«أجعلتني لله ندًا»**، يعني شريكًا، قل: **«ما شاء الله وحده»**، لأن العطف بالواو يقتضي التشريك، والمعية، والله لا شريك له، ولا أحد يساويه -سبحانه وتعالى.

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.